مجلة أنثروبولوجية الأديان المجلد 17، العدد 01، 15 جانفي 2021، ص ص867-879

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

الفكر الأنثروبولوجي عند المعتزلة

الجانب الديني واللغوي – أنموذجا –

An article about the anthropological thought of the Mu'tazilites The religious and linguistic side -a model-

صفية بوعناني*

جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان–الجزائر–

safiabouanani71@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/11/20 تاريخ القبول: 2020/09/24

ملخص:

ساعدتني هذه القراءة على معرفة ما أحدثه المعتزلة بين العصرين الأموي العباسي من نشاط ديني وفلسفي أثروا به الفكر العربي الديني واللغوي باجتهاداتهم التي تصدت لأعداء الدين بدليل مجهوداتهم القولية والفعلية التي اعتمدت العقل حكما واستغنت عن النقل.

فأردت أن يكون عنوان مقالي" الفكر الأنتروبولوجي عند المعتزلة الجانب الديني واللغوي أنموذجا " لأمزج بين نشاط هذه الفرقة الديني والاجتماعي واللغوي وصداهم البلاغي فالمعتزلة مدرسة فكرية عظيمة و عريقة شكل ظهورها مع باقي الفرق الكلامية الأخرى نقطة تحول في تاريخ الفكر الإسلامي و العربي ، فإلى أي مدى بلغ صداها و تأثيرها ؟ هذا ما ستحاول الدراسة الوصول إليه .

الكلمات المفتاحية: الأنتروبولوجيا، نشاط ديني، نموذج، ديني، لغوي، المعتزلة.

Abstract

This reading helped me to know what happened to the Mu'tazilites , which is a verbal band that emerged at the beginning of the second century in Basra late Umayyad and flourished in the Abbasid era , of religious and philosophical activity that influenced the Arab religious and linguistic thought with their studiousness which confronted the stopped transmitting the hadith of our prophet peace be upon him that 's the why I entitled my article as follow , the Islamic anthropological though at Mu'tazila from both sides religious and linguistic sides as a model . To mix religious as well as activity of this sect and rhétrice résonnance. the Mu'tazila is a great (famous) ancient school of thought.Tt's appearance, a long with other verbal groups was a turning point in the history of

* **المؤلف المرسل:** صفية بوعناني، **الايميل:** safiabouanani71@gmail.com

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

both Islamic and Arabic thought .How for it known ? This is what this study will try to chieve.

Key words : Anthropology; religious activity; model; sect; linguistic; Mu'tazilites

مقدمة :

تسعى هذه القراءة الأنثروبولوجية إلى دراسة الجانب الديني واللغوي لدى المعتزلة باعتبارها من الفرق الكلامية التي نشطت في الجانب الديني والفلسفي لامتلاكهم ناصية اللغة العربية وعلومها قصد توضيح الكثير من المباحث والمسائل العقائدية في الفكر الإسلامي. ولقد حظي المعتزلة – دون غيرهم – من الطوائف والفرق الإسلامية المختلفة بنصيب كبير من عناية الباحثين والمؤرخين في الشرق والغرب، وتعدّدت الدراسات والبحوث حول هذه المدرسة الفكرية الكبيرة التي كان ظهورها نقطة تحوّل واضحة في تاريخ الفكر الإسلامي، ولعلّ هذه العناية هي نتيجة لأهمية هذه المدرسة ومكانتها من تاريخ الحركات العقلية في الإسلام، لذا سأخص هذه القراءة بالتعرّف على المعتزلة نشأتها – وفكرها – ولغتها.

أولا: التعريف بالمعتزلة ونشأتها :

1- نشأة مدرسة الاعتزال وأطوارها ومبادئها:

المعتزلة فرقة كلامية ظهرت في بداية القرن الثاني الهجري في البصرة أواخر العصر الأموي، نشطت وازدهرت في العصر العباسي، ولعبت دورا رئيسيا سواء على المستوى الديني أو السياسي، ولقد غلبت على المعتزلة النزعة العقلية لاعتمادهم على العقل في تأسيس عقائدهم وتقديمه على النقل، وقالوا بالفكر قبل السمع، ورفضوا الأحاديث التي لا يقرّها العقل حسب وصفهم من أشهر كتّاب المعتزلة الزمخشري صاحب تفسير الكشاف والجاحظ والقاضي عبد الجبار.

2- سبب التسمية:

ارتبط ظهور هذه الفرقة الكلامية باسم واصل بن عطاء والحادثة التي وقعت بينه وبين أستاذه الحسن البصري في مسجد البصرة حينما اختلف معه حول حكم مرتكب الكبيرة ثمّ اعتزل واصل مجلس أستاذه، حينما انفرد بحكم يخالف حُكمه في هذه القضية.

واختلفت الآراء في تاريخ نشأتها، ففي "دائرة المعارف الإسلامية" أنّ مدرسة المعتزلة قد بدأت بمواطنين من البصرة هما واصل بن عطاء، وعمرو بن عتبة، وكانت فترة نشأتها أثناء خلافة هشام وخلفائه الأمويين أي من سنة 105هـ إلى سنة 131هـ (byden .1953. p 422)

وحاصل القول وممّا رددته معظم المصادر العربية أنّ ظهور المعتزلة كان بالبصرة بين نهاية القرن الأول وبداية القرن الثاني الهجري للسبب نفسه الذي ذكرته سلفا هو تلك الحادثة المشهورة التي وقعت بين واصل وأستاذه الحسن البصري (عبد الحكيم بلبع ، 1969، ص11)

كما اختلفت الروايات في أصل المعتزلة، فقد ذكر المرتضى في أماليه: "أنّ أصول المعتزلة مأخوذة من كلام عليّ رضي الله عنه فيقول: اعلم أنّ أصول التوحيد والعدل مأخوذة من كلام أمير المؤمنين عليّ وخُطبه".(السيد المرتضى 1907، ص11)

وفريق آخر يرى أنّ فكر المعتزلة استمده واصل بن عطاء من إمامه الحسن البصري ذلك أنّ مخالفة واصل لأستاذه في مسألة واحدة لا يعني أنّه خالفه في أصول الاعتزال الأخرى التي أقرّها الحسن البصري.

و فرقة المعتزلة التي ارتبط اسمها بواصل بن عطاء – وإن اختلفت ظروف نشأتها – فقد قامت على أسس فلسفية دينية، إذ إنّ مذهب الاعتزال في أصوله الخمسة الأساسية المعروفة وهي: التوحيد، والعدل والوعد والوعيد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المنزلة بين المنزلتين، يؤكد صيغة هذا المذهب الدينية، وبعده عن السياسة.

3- العوامل التي هيأت لظهور المعتزلة:

قبل أن يأخذ المعتزلة وضعهم في المجتمع الإسلامي بصفة مستقلة، وقبل أن يعلنوا مبادئهم وآراءهم ويطبقوها من الناحية العملية على حياتهم الدينية والسياسية كانت هناك تيارات دينية وسياسية مختلفة، وكانت هناك مناقشات، ومجادلات خطيرة لم يكن لها وجود من قبل، ولم يلتفت إليها المسلمون الأوائل؛ لأنّهم كانوا يتلقون مبادئ شريعتهم من القرآن الكريم ومن الرسول صلى الله عليه وسلم، فيؤمنون به إيمانا مطلقا، دون أنّ يتعرّضوا له بالنقاش والمجادلة شريطة أن تنطبق أعمالهم، وأقوالهم مع مبادئ الشريعة الإسلامية.

لكن الدين الإسلامي جاء للناس عامة، كافة للبشرية، فما لبث أن انطلق من تلك البقعة الضيقة إلى الآفاق الرحيبة الواسعة يغزو الأقطار ويخضع الممالك، وما هي إلاّ سنوات حتى أشرقت شمسه على معظم أقطار الشرق الأدبي[1]. (ابن قتيبة ، 1992 ، ص 192)

فتأثر المسلمون بأهل هذه المناطق التي كانت تزخر بديانات متعدّدة منها ما كان يخالف تعاليم الدين الإسلامي االسمح فكَثُر الجدل واحتدم النقاش.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

ثانيا : فكـــر المعـــــتزلة:

1- أهمية الفكر المعتزلي وأهمّ ملامحه:

تنبع أهمية المعتزلة في كونهم ركزوا على قيمتين أو مبدأين أساسيين هما:

1- حرية الاختيار للإنسان ومسؤوليته عن أعماله.

2- إعطاء أهمية كبرى للعقل البشري.

وهو ما تجلى في أفكارهم ودفاعهم عنها، ومناظراتهم التي وثّقتها لنا الكثير من كتب التراث الإسلامي، منها كتاب "الملل والنحل" للشهرستاني، وكتاب "الفرق بين الفرق" لعبد القاهر البغدادي، وكتب الجاحظ: الحيوان، ورسائل الجاحظ، حيث تناول الكثير من أفكارهم في كتبه.

من مبادئ المعتزلة اعتمادهم على العقل في تأسيس عقائدهم، حيث قدّموه على النقل تحت شعار "العقل أوّل الأدلة"، وقالوا بأنّ العقل والفطرة السليمة قادران على تمييز الحلال من الحرام بشكل تلقائي.

ويؤمن المعتزلة أنّ الإنسان مسؤول عن كل ما يفعل، وأنّ مسؤوليته تقتضي أن يكون حرّا في اختيار طريقه وأفعاله ومعتقداته ، و لمعرفة الفكر الانتروبولوجي الديني لدى المعتزلة لابد من الوقوف على سلوكها هذا الجانب .

2- صدى الاعتزال في الفكر الإسلامي:

يوحي لفظ الاعتزال حسب الأستاذ حمادي ذويب بكل ما هو خلاّق ومبدع ومتجدّد في النظر إلى أحوال الدين والدنيا إذ اقترن محموله الدلالي بفضائل التفكير والعقل، وهي أعلى الفضائل جميعا بحسب الموقف السقراطي القديم.

إنّ الاعتزال قد خلق وعيا في صميم الثقافة الإسلامية سواء عبر منهجية النظر إلى العقيدة أو عبر الفلسفة التي تحكم مقاربة أهل الاعتزال "إيديولوجيا رسمية للدولة العباسية" (عبد الله العروي 1994 ، ص 20) على مدى جيل كامل (32 عاما من حكم المأمون إلى حكم الواثق مرورا بحكم المعتصم).

ويضيف ذات المصدر قائلا: "إنّ المؤكد لدينا أنّ في الاعتزال تقاليد تأسيسية أولية في الحوار مع الأديان الأخرى، ولنا في هذا المعنى مصدران لا غنى عنهما وهما "الودّ في النصارى" في رسائل الجاحظ، وكتاب "تثبيت دلائل النبوّة" للقاضي عبد الجبار"[2].(مقال للأستاذ حمادي ذويب . WWW .MOMINOUM . COM ،2017)

وفي كل الأحوال فإنّ دراسة الأديان من منظور اعتزالي يؤشر إلى إمكانية الحوار مع الآخر لاسيما أنّ الاعتزال نشأ أصلا في بيئة متعدّدة الأديان والطرائق.

3– أصول الاعتزال الدينية:

إنّ للاعتزال أصولا خمسة حدّدها بوضوح القاضي عبد الجبار وهي بالترتيب: "التوحيد، العدل، الوعد والوعيد، الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، المنزلة بين المنزلتين" وهذه الأصول كشفت لدى الدارسين والباحثين دور هذه الفرقة في تأسيس علم الكلام وفي ريادتها في كل ما يتّصل بالعقل في النظر إلى مسائل العقيدة، يقول عنهم الملطي وهو أحد خصوم المعتزلة: "إنّهم أرباب الكلام وأصحاب الجدل والتمييز والنزر – أي راجح النظر – والاستنباط والحجج على من خالفهم وأنواع الكلام والمفرقون بين علم السمع وعلم العقل والمنصفون في مناظرة الخصوم ".(هائم إبراهيم يوسف ، 1993 ، ص 12)

غير أنّ المتلقي الحديث يدعو إلى تغيير الترتيب التفاضلي لتلك الأصول الخمسة، اتفقوا على تقديم الأصول التي تتصل بالعقل والاختيار، واستبعاد أصل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنّ هذا الأصل هو الذي جعل أهل الاعتزال يضطهدون مخالفيهم ويقسون عليهم، لادعائهم أنّهم بمخالفتهم قد أتوا منكرا ففضلوا العقل.(هائم إبراهيم يوسف ، 1993 ، ص 44)

4- أثر المعتزلة في التفكير الإسلامي:

كان ظهور المعتزلة يمثل الاتحاد التمردي الصاعد في التفكير الإسلامي وكانت عقليتهم التي تمت في ظلال ذلك المزيج الهائل بين الثقافات العقلية المختلفة مؤذنة لقيام مرحلة ثقافية جديدة تتسم بالعمق والخصوصية وتمجيد العقل والاعتزاز بحرية التفكير لتختط مسارا جديدا للثقافة العربية التي أزهرت بفضل حركات الترجمة وأخذت من التيارات الفكرية الفلسفية الأجنبية.

ولم يكن من الممكن أن يقوم أهل السنة بأي أمر في تفهم الثقافات ودراساتها لأنّها قد لا تتوافق مع ثقافتهم القرآنية، لذلك ظلوا بعيدين حذرين يشتغلون بكتاب الله وسنّة نبيّه صلى الله عليه وسلم ولا يلتفتون إلى أحد كما قال الإمام أحمد بن حنبل للخليفة حين ضيّق عليه الخناق في مسألة خلق القرآن "أعطوني شيئا في كتاب الله عزّ وجلّ وسنّة رسوله صلى الله عليه وسلم أقول به.(عبد الحكيم بلبع ، 1969 ، ص 168)

فكان لابدّ من وجود قوّة أخرى تسدّ تلك الفجوة التي كانت موجودة ما بين الثقافة الإسلامية والثقافة الهيلينية المعقدة، تمثلت هذه القوة في ظهور جماعة من المفكرين الأحرار أخذوا على عاتقهم ذلك

العبء، فانكبوا على الثقافات الجديدة يفهمونها ويحاولون التوفيق بينها وبين مبادئ دينهم، وهؤلاء هم المعتزلة الذين كانوا من أكبر الطوائف الإسلامية إقبالا على هذه الثقافات.

تمثل دورهم في التوفيق بين الدين و الفلسفة الجديدة و أن يعرضوا هذا الدين في صورة مقبولة لدى المثقفين الأجانب (**MOHAMEDE NISME** 1955. P 88) كما استطاعوا الوقوف في وجه الزنادقة و الملحدين ، و هذا ما يؤكد دورهم في نصرة الإسلام و الدفاع عن مبادئه و تعاليمه و تأييده بالحجة الدافعة و المنطق السديد ، لأنهم تسلحوا بنفس سلاح أعداء الدين فتعلموا فلسفتهم و سائر العلوم العقلية للرد على خصومهم ، و التاريخ الإسلامي جمع بعض مواقفهم الحثيثة في الدفاع عن الإسلام ، فهذا واصل بن عطاء ألف كتابا في الرد على المانوية (أحمد بن يحي المرتضى 1903،ص 21) ويعقد المناظرات لمناقشتهم و تفنيد آرائهم ، ثم يرحل إلى البلدان مع أصحابه لهذا الغرض و قد نوه أحد الشعراء بذلك قائلا :

ملقن ملهم فيما يحاوله جمّ خواطره جوّاب آفاق.

(ياقوت الحموي ، 1939 ، ص 249 ، ج 19)

لم يكن واصل وحده الذي تولى هذه المهمة، بل لقد كان ذلك هو همّ أصحابه من بعده فأبو الهذيل العلاف كان من أشدّ رجال المعتزلة صلابة عود وقوة حجة، وكان أكبرهم دأبا في الدفاع عن الدين والردّ على المعاندين، ومناظرة المخالفين. رُوي أنّه ألّف ستين كتابا ليبطل حججهم، ويفند أقاويلهم (أحمد بن يحي المرتضى ،1903 ، ص 25)، وأنّه ألزم الحجة يهوديا قدم إلى البصرة فناظر طائفة مشايخ المتكلمين فيها فقطعتهم وأفحمهم. (السيد المرتضى ، 1907 ، ص 124 ، ج1)

وهكذا فالمعتزلة لم يدخروا جهدا في الدفاع عن الإسلام ومناظرة مخالفيه ومردّ ذلك إلى ثقافتهم الواسعة لأنّهم جمعوا مع ثقافتهم الدينية ثقافات الأمم الأجنبية وفلسفتهم فقربوا مثلا بين الدين والفلسفة بطريقة خففت كثيرا من اشتداد حركة المجون والزندقة آنذاك التي ارتبط وجودها بوجود تلك الفجوة بين ديننا الإسلامي والثقافة الأجنبية، فحينما اطلع المسلمون على الفلسفات والعلوم العقلية الجديدة أخذ ضعاف الإيمان يشكون في قيمة عقائدهم وثقافتهم، ولكن المعتزلة استطاعوا سدّ تلك الفجوة.(**MOHAMEDE ANISME** ,1955. P88)

وخلاصة ما سبق قوله فإنّ المعتزلة وحدهم تصدوا بحماسة للدفاع عن الدين وحمايته من تلك الصراعات والنزاعات، فقد قاوموا المسيحية واليهودية والمجوسية بفرقها المتعدّدة كما قاوموا الزندقة والإلحاد وسلاحهم في ذلك لغتهم و بلاغتهم التي اشتهروا بها.

ثالثا: المعتزلة واللغة: .

1- منهج المعتزلة في تعاملهم مع اللغة لتقرير العقائد:

بدأ هذا التيار مع ظهور المعتزلة في القرن الثاني الهجري، وما بعده ويعود بروزه إلى عناية المعتزلة باللغة العربية واهتمامهم بها طلبا لدعم أصولهم باللغة واحتضن بعض خلفاء بني العباس المعتزلة وعملوا على مساعدتهم قصد ترويج بضاعتهم الفكرية، وبلغ هذا التيار أوج مجده في القرن الرابع الهجري زمن الدولة البويهية أيام عضد الدولة البويهية (ت 372هـ) والصاحب بن عباد (ت 388هـ) وابن جني (ت 392هـ) والرماني (ت 384هـ) والشريف الرضي (ت 406هـ)، وبدأ هذا التيار يضعف بعد القرن السادس الهجري نظرا لتقلص دور المعتزلة بوجه عام وبروز الأشعرية كقوة منافسة لهم.

2- الاعتماد على اللغة المجردة والأشعار في تفسير النصوص الشرعية:

تعتبر الطريقة اللغوية لدى المعتزلة المبدأ الأعلى في تفسير القرآن بعد العقل، لذلك يحاولون إبطال المعنى الذي يرونه مخالفا لمبادئهم باللغة المجردة فإذا لم يخالفهم الحظ أثبتوا للفظ معنى آخر موجودا في اللغة يُزيل الاشتباه ويتفق مع مذاهبهم فيستشهدون عليه بأدلة من اللغة والشعر. (الذهبي بتصرف ، 2000، ص 274- 275)

ولقد استخدم أهل الكلام ومنهم المعتزلة اللغة العربية وعلومها لتوضيح الكثير من المباحث والمسائل العقائدية في الفكر الإسلامي ولكي نُلقي الضوء على هذا التوظيف اللغوي لابدّ من سرد بعض الأمثلة.

فمثلا في شرح معنى الوحدانية كمفهوم عقائدي أصيل في الفكر الإسلامي يوضح العلامة الباجوري نسبة هذا اللفظ لغويا قبل شرحه اصطلاحا فيقول: مفهوم الاشتقاق استعمل في أدق مبحث كلامي ألا وهو علاقة الصفات بالذات الإلهية، حيث يرى المعتزلة خلاف ما يراه الأشاعرة بأنّ الصفات موجودة وليست زائدة في الذات الإلهية، أمّا الأشاعرة فيرون معنى ثبوت هذه الصفات وزيادتها وأنّ معنى سميع وعليم وقادر ومحي وعالم...الخ. ذات ثبت لها السمع والبصر والكلام والعلم، إلخ، لأنّ من لم يقم به وصف لا يشتق له منه اسم، فلا يقال قائم إلاّ لمن قام أو اتصف بالقيام وهكذا.(الشيخ ابراهيم بن محمد الباجوري، 1955 ، ص 27)

ورغم هذا الاختلاف، فاللغة تبقى أساسا وظفها علماء الكلام وأظهر من وظفها هم المعتزلة والأشاعرة، وأنّ الزمخشري أظهر من وظفها من المعتزلة وذلك عن طريق تفسيره القرآن الكريم، فاللغة العربية

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

هي مفتاح لفهم نصوص هذا الدين، أمّا الأسس اللغوية فتتمثل في دلالة محاور أربعة: الدلالة المعجمية والنحوية والصرفية والمجازية، فقد حاول الزمخشري وهو لغوي متكلم معتزلي أن يعالج قضايا العقيدة بجعل الدلالة اللغوية شافعة للمذهب العقلي، وينطلق من أصول دلالة الألفاظ ويوظف النظريات الدلالية في غالب مناقشاته و ردوده.(مقال لوليد جبار إسماعيل نعمان العبيدي ،1992)

3- قضايا اللفظ والمعنى بين اللغويين والبلاغيين:

إنّ المتأمل لأشكال الثقافة الإسلامية يلاحظ أنّ العلوم الإسلامية جميعها لغوية وشرعية على "ما بينها من تفاوت واختلاف في التناول والأداء وفي عرض الظواهر وتحليلها، وقد جعلت النص القرآني محطّ اهتمامها ومنطلقا لدراستها" (د - محمد المالكي،1996 ص21) و إذا كان القرآن الكريم منطلق كل هذه المجهودات الفكرية كان لابدّ لهذه العلوم أن تتداخل وتتواصل فيما بينها، ويفيد بعضها الآخر في تكامل مثمر لتعكس أثره على كل فروع الثقافة العربية الإسلامية بالثراء والخصوبة، ممّا يجعل ميدان البحث في أي علم من علوم لغتنا فسيحا والعطاء غزيرا.

"فلم تكن العلوم اللغوية مستقلة أو منفصلة عن غيرها من العلوم، بل كانت من المقدمات الضرورية للمفسر والأصولي والمتكلم والبلاغي، وتأثرت في المقابل بمناهج الفقه والكلام والفلسفة والأصول، فالمتكلمون مثلا كانوا – رغم ثقافتهم فلسفية الطابع – أصحاب اجتهادات وتأثيرات واضحة في اللغة والنحو، وهل كان للمعتزلة أن يمضوا في تأويل المجاز دون استناد إلى أساس لغوي متين".(د جابر عصفور، 1992 ص 102-103)

4- الأثر المذهبي المعتزلي نموذجا في تصوّر العلاقة بين اللفظ والمعنى:

من خلال جهود العلماء والبلاغيين القدامى حول دراسة معاني القرآن الكريم وألفاظه حاول بعضهم الفصل بينهما، فمنهم من اهتمّ باللفظ والصياغة، ومنهم من وجّه عنايته للمعاني وأحوال التراكيب. فقد كانت فكرة الفصل سائدة في تصوّر الجاحظ المعتزلي باعتباره أول بلاغي وناقد أثار جدلية اللفظ والمعنى في قولته الشهيرة: "المعاني مطروحة في الطريق"[(3)].(د محمد المالكي ،1996ص 42) وقد عزّز هذا القول عبد القاهر الجرجاني حين قال: "وكيف يُتصوّر أن يصعب مرام اللفظ بسبب المعنى، وأنت وإن أردت الحق لا تطلب اللفظ بحال، وإنّما تطلب المعنى وإذا ظفرت بالمعنى فاللفظ معك وإزاء نظرك"[(4)](عبد العزيز حمودة،2001 ، ص275) . وفي الحقيقة فإنّ هذا التفضيل للمعنى على اللفظ أو العكس ليس سوى انعكاسا لخلاف جوهري.

رابعا: المعتزلة وفنون النثر عندهم:

1- الجدل والمناظرة :

أخذت حيّزا كبيرا من نثرهم كما أشرنا، لكن هذا لم يبعدهم عن الحياة. فقد كان الكثير منهم من أعمق الناس وعيا بها، فانفعلوا معها وأبرزوا جوانب الخير والشر فيها، ورصدوا أحداثها، وتعمّقوا أسرارها، فغنيت تجاربهم وانفعلت عقولهم ونفوسهم، ثمّ كتبوا هذا كلّه من خلال ثقافة واعية وفنيّة رائعة. إذن لم يكن الجدل حول قضايا الدين ومذاهب الكلام هو كل ما يصل المعتزلة بفنّ النثر، فقد خلّف الجاحظ كتبا كثيرة هو والنظام وأبو حيان التوحيدي والصاحب بن عباد، وسجّل المعتزلة في نثرهم قضايا العقل والنفس وصوّروا الحياة الاجتماعية بواقعها، وتغلغلوا في أعماق النفس الإنسانية فوصفوا أحوالها ، وكشفوا أسرارها و في كل مجال كانوا يستلهمون ثقافتهم ومعارفهم . فأضافوا إلى فنون النثر الوصف فلم يقفوا في وصفهم عند حدود الأمور المادية المحسوسة، ولكنهم تجاوزوا حدود المادة إلى عالم المعاني فوصفوا اللذة والألم والعشق والفراق والسعادة والشقاء والكرم والبخل والخوف والجبن، وكافة أحوال النفس كما وصفوا اللسان والكتاب والقلم والمنطق والكلام. وما إلى ذلك من الأمور الكثيرة . عندهم الوصف الحسي ووصف المعاني فمثلا الجاحظ يصف اللسان قائلا: "هو أداة يظهر بها البيان و شاهد يعبر عن الضمير و حاكم يفصل الخطاب، وناطق به الجواب، وشافع تدرك به الحاجة وواعظ ينهى به عن القبيح و مغر يرد على الأحزان..."[5] (أبو بكر أحمد بن الخطيب البغدادي ،1931 ،ص 218 ج 12) والمجال هنا يضيق لسرد كل صور الوصف لدى المعتزلة و خاصة الجاحظ .

أما نثر المعتزلة من ناحية المضمون فقد وسع أفق نثرهم و عالجوا كل ما انفعلت به عقولهم وأفعمت به مشاعرهم من مشاهد هذا الكون و أسراره و حقائقه و كل ما حواه زمانهم من معارف. فقد عبر نثرهم عن قضايا الإنسان و الحيوان و الطير و النبات و الطبيعة و الطب و الفلسفة والدين والأخلاق والطباع والاجتماع وأحوال النفس ، والتعليم والبيان والتبيين والسياسة.

2- اشتهار المعتزلة ببلاغة القول :

اشتهر المعتزلة في التاريخ الأدبي ببلاغتهم، وشدة عارضتهم وفصاحة لسانهم، لأنّ مهمّتهم فرضت عليهم دراسة اللغة، والإحاطة بعلومها وطريق تعبيرها، فأكبوا على الآثار الأدبية يتدارسونها فقويت بذلك ملكاتهم وساروا مثالا يحتذى به في بلاغة القول وفصاحة اللسان.

ذكر الجاحظ في كتب البيان والتبيين ما قاله شاعرهم صفوان الأنصاري يصف بلاغتهم في قصيدة طويلة منها هذه الأبيات:

وما كان سحبان يشقّ غبارهم ولا الشدق من حيّ هلال بن عامر

ولا الناطق النخار والشمخ دنفل إذا وصلوا أيمانهم بالمخاصر

ولا القالة الأعلون رهط مكحل إذا نطقوا في الصلح بين العشائر[6]

(الجاحظ تحقيق أحمد زكي ،1914 ص 42 ،ج1)

ويشيد ابن العميد بفصاحة الجاحظ قائلا: "ثلاثة علوم الناس كلّهم فيها عيال على ثلاثة أنفس: أمّا الفقه فعلى أبي حنيفة، وأمّا الكلام فعلى أبي الهذيل، وأمّا البلاغة والفصاحة واللسن والعارضة فعلى أبي عثمان الجاحظ"[7].(ياقوت الحموي ص 103 دت -ج 15)

وفي معجم الأدباء إشارة إلى ما يعزّز بلاغة الجاحظ المعتزلي الذي قال في حقّه ثابت بن قرة : "ما أحسد هذه الأمة العربية إلاّ على ثلاثة أنفس فإنّه

عقم النساء فلا يلدن شبيهه إنّ النساء بمثله عقم

فقيل له أحصي لنا هؤلاء الثلاثة، فقال: أوّلهم عمر بن الخطاب والثاني الحسن بن أبي الحسن البصري والثالث أبو عثمان الجاحظ خطيب المسلمين وشيخ المتكلمين ومدره المتقدمين والمتأخرين، إن تكلّم حيّ سحبان في البلاغة، وإن ناظر ضارع النظام في الجدال"[8].(ياقوت الحموي ، 1936 ، ص 95-97 ، ج16)

3- أدب المعتزلة:

لقد كان أدب المعتزلة انعكاسا لبيئتهم الفكرية الخاصة وما كان يتردّد فيها من ألوان الجدل وفنون المناقشة حول قضاياهم الدينية التي نضجت على أيديهم، بقوة الحجة وسداد المنطق وبراعة الدليل وحول مذاهبهم الكلامية التي اقتبسوا بعضها من الثقافة العقلية، فاستطاعوا أن يلائموا بينها وبين ثقافتهم القرآنية التي كانت هي أساس تأملاتهم الدينية[9]. (عبد الحكيم بلبع ،1969 ص 110)

انحصر أدب المعتزلي في الحديث عن مذهبه والدفاع عن دينه بالدليل والبرهان لا بالتعسف والقوة، وقلّما نجده يمدح أو يهجو أو يتغزّل أو يكتب رسالة في تهنئة أو تعزية أو استعطاف.

ولعلّ أبرز لون أدبي نراه عند المعتزلة فيما بقي من آثارهم هو المحاورة والجدل، تصدوا للفاسقين والزنادقة والمخالفين في بيئتهم من مجوسية ودهرية وأصحاب الديانات والمذاهب الأخرى، ولهم كتب في هذا المجال.

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

يقول الدكتور محمد هيثم غرّة في كتابه (البلاغة عند المعتزلة): "بأنّ الاعتزال مدرسة فكرية كلامية، لا فرق سياسية، ولم تقم دعائمها إلاّ على الجدل والحوار، لا على السيف أو التصدي لمحاربة فرق أخرى، دافعوا عن القرآن بما يملكون من فصاحة ولسن، وبثقافتهم اللغوية الواسعة وبمعرفتهم بالبيان واللغة"[(10)]. (محمد هيثم ،2009 ، مجلد 1)

– تحليل النتائج :

من أهمّ النتائج التي خرجت بها القراءة:

– أنّ المعتزلة كانوا أوّل دعاة في الإسلام إلى منهج النظر العقلي، وأوّل من قام بتطبيق هذا المنهج في الدفاع عن الدين والوقوف في وجه أعدائه، وأنّهم القوة التي استطاعت أن تلائم بين الثقافة العقلية كالمنطق والفلسفة وبين الشريعة الإسلامية.

– أنّ المعتزلة كانوا أوّل من وضع أسس كثير من العلوم العربية وعلى رأسها البلاغة وعلم المناظرة والجدال.

– ثقافتهم الواسعة منحتهم طاقة فكرية وأدبية كبيرة استطاعوا بها تطوير النثر العربي من ناحية الألفاظ والمعاني.

– أنّ نثرهم جاء انعكاسا لثقافتهم المزدوجة ولاستعدادهم العقلي التي هيّأته له بيئة الحجاج والمناظرة.

– أمّا شعرهم فلم يرق إلى منزلة نثرهم ولم يمثّل خصائصهم وثقافتهم لذا لم أتطرق إليه.

– فكر المعتزلة واسع الأغوار يعدّ ذخرا في تاريخ أمّتنا واجتهادا لعلمائها، زاوج بين الدين واللغة من جهة، وبين الدين والعقل من جهة أخرى.

خـــاتمة :

في نهاية الدراسة خلصنا الى أن الفكر الاسلامي كان واسعا في أغواره ونشاطه الديني والفلسفي خاصة في العصر العباسي بفضل علماء البلاغة ومناظروا الفلسفة الاسلامية ومجادلتهم لأهل الملل والنحل من عرب وعجم . ولعل المعتزلة التى عرفنا سبب تسميتها ومن أس مبادئها وأهدافها تعد من أبرز وأقوى الفرق الكلامية التي اعتمدت الغفل حكما وامنت بالتنوع والاجتهاد.

لهذا فقد مكنتني هذه القراءة المتواضعة من الوقوف على نشاط هؤلاء المفكرين وتاريخ نشأتهم وكذا ماقدموه للغة والبلاغة من اضافات وانجازات ومؤلفات لازالت الى يومنا هذا مرجعا للباحث والدارس . فبيئة المعتزلة شكلت مع الجبرية والأشاعرة فكرا اسلاميا وفلسفيا بفضل اللغة والبلاغة، فرغم اختلاف هؤلاء في وجهات نظرهم الا أن اللغة العربية تبقى أساسا وأداة وظفها علماء الكلام. ولا ننسى أيضا

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

موقفهم من الدين فقد جعلت هذه الفرق النص القراني محط اهتمامها ومنطلقا لدراستها.وأنا ادعوا الطلبة التعرف أكثر على الفكر الاسلامي خاصة الدين والفلسفي.

قائمة المراجع :

1- باللغة العربية

–**أبو بكر أحمد** بن الخطيب البغدادي ، سنة 1931،تاريخ بغداد طبع بالقاهرة

–**أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ** ،1914، البيان و التبيين تحقيق أحمد زكي طبع بالقاهرة ، الطبعة الأولى .

– **أحمد بن يحيى ابن المرتضى** ، سنة 1979، المنية و الأمل في شرح الملل والنحل ، الناشر دار الفكر ، .

– **أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري**، كتاب المعارف تحقيق الدكتور شروت عكاشة ، دار المعارف الطبعة الرابعة.

–**ابراهيم بن محمد الباجوري** ،سنة 1955 حاشية الباجوري على السنوسية ، شركة مصطفى البای الحلبي و أولاده ، القاهرة مصر 1955.

– **جابر عصفور**،سنة 1992 ، الصورة الفنية في التراث النقدي البلاغي ، المركز الثقافي العربي بيروت الطبعة الثانية .

– **الشريف المرتضى**، سنة 1907 ،علم الهدى علي بن الحسين ، أمالي السيد المرتضى في التفسير والحديث والادب ، طبع بالقاهرة ، الطبعة الأولى.

– **عبد الحكيم بلبع** ،سنة 1962، أدب المعتزلة إلى نهاية القرن الرابع هجري ، دار النهضة مصر للطبع و النشر ط2 .

– **عبد العزيز حمودة** ،سنة 2001، المرايا المقعرة نحو نظرية نقدية ،مطابع الوطن الكويت .

– **عبد الله العروي**،سنة 1994، العقل العربي المعاصر ،بيروت منشورات المركز العربي .

_ **محمد حسين الذهبي**، سنة 2000، التفسير والمفسرون_ مكتبة وهبة ، القاهرة .

_ **محمد المالكي**،سنة1996 ،دراسة الطبري للمعنى من خلال تفسيره جامع البيان عن تأويل آي القرآن منشورات وزارة الأوقاف مطبعة فضالى المغرب.

– **محمد هيثم غرة**،سنة1991 ، مجلد واحد ،البلاغة عند المعتزلة دار الكتب الوطنية.

_ **محمد بن علي بن الجوزي أبو الفرج**، مناقب الامام أحمد بن حنبل، المحقق عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر 1409.

_**هائم ابراهيم يوسف**،1993. أصل العدل عند المعتزلة، دار الفكر العربي.

_ **ياقوت الحموي**،1936 ، معجم الادباء ج 19 مطبوعات دار المأمون القاهرة .

ISSN/2353-0197 EISSN/2676-2102

2- **باللغة الاجنبية** :

- Alexander Rosskeen Gibb Hamilton, A. R. Mohamed, anisme, British1955
-Chorter Incy Clopeadia of Islam, Byden, **Gibb, H. A. R., Kramers, J. H.** 1961

المقـــالات :

_ مقال **الأستاذ حمادي ذويب** قراءة الاعتزال من منظور الأفية الثالثة: ،2017 www. Mominoum.com

مجـــلات :

- **وليد جبار اسماعيل نعمان العبيدي**، الفكر اللغوي عند المعتزلين كلية الامام الاعظم نينوي قسم أصول الدين.
- Academic sientific journals